BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

منتدى الحوار

Dialogue Forum

(DF)

تأثيـــر الأدب الفرنسي في الأدب العربـــي

محمد الكردي:

يسعدني أن أقدم لكم الأستاذة الدكتور نفيسة عبد الفتاح شاش زميلتي في قسم اللغة الفرنسية وآدابها في كلية الآداب جامعة الإسكندرية، وهي أستاذ الأدب المقارن والترجمة والأدب الفرانكوفوني في الجامعة. وهي حاصلة على جائزة الجامعة عام ٢٠٠٢ وكذلك على الوسام الأكاديمي بدرجة فارس من الحكومة الفرنسية عام ٢٠٠٥، وهي تشغل مناصب عدة أذكر منها على سبيل المثال: رئيسة نادي السيدات الناطقات بالفرنسية، وعضو لجنة تطوير تعليم اللغة الفرنسية لعام ٢٠٠٧، وعضو بالجمعية المصرية للأدب المقارن، وعضو اللجنة الأدبية واللغوية بمكتبة الإسكندرية وثمار قلمها وفيرة يتراوح بين الفرنسية والعربية، وأذكر لها بالفرنسية كتابها عن جي دي موباسان وخيال الرعب المنشور في فرنسا، وكتاب آخر عن الأحلام بين سردية أندريه بروتون مؤسس السريالية وفن البلاغة عند الحكيم، وكتاب ثالث عن جيرار دو نرفال والأساطير المصرية. كما أن لها إسهامات عديدة في مجال الإسلام، فلها كتاب عن الإسلام والتوحيد على مر العصور باللغة العربية، وكذلك كتاب آخر عن الترجمة وعنوانه "الترجمة في خواطر المجتمعات وتفاعل الحضارات"، ولها نشاطات وأبحاث متعددة، كما اشتركت في ندوات ومؤتمرات كثيرة.

تحدثنا الدكتورة نفيسة شاش عن موضوع شائق ومهم وهو تأثير الأدب الفرنسي في الأدب العربي، ويتصل هذا التأثير عبر التاريخ بداية من رفاعة الطهطاوي صاحب **تخليص الإبريز في تلخيص باريز** وعبر علي مبارك الذي كتب **علم الدين** وزكي مبارك أيضا الذي نشرت له مكتبة الهلال **ذكريات باريس**، وكذلك المنفلوطي في كتابه عن الفضيلة وحافظ إبراهيم الذي ترجم البؤساء

وأحمد شوقي الذي حاكى المسرح الفرنسي، وطبعا طه حسين وأحمد ضيف ومحمد مندور في مجال النقد الأدبي وتوفيق الحكيم والدكتور محمد حسين هيكل وغير ذلك من الكُتَّاب المتعددين وكذلك الأدب الفرانكوفوني.

نفيسة شاش:

هناك بعض التساؤلات في موضوع الشرق والغرب قد تطرأ على أذهاننا عندما يثار موضوع تأثير الأدب الفرنسي في الأدب العربي. فهل يوجد للأدب الفرنسي تأثير في الأدب العربي وهل هناك تأثير من الثقافة العربية ككل في الثقافة الغربية؟ فطبيعة الحال يأخذنا التفكير إلى ما قد سبق من أمجاد العرب فيقول الكاتب الألماني الشهير إميل دورمنجهايم Emile Durmengheim في مقال له بعنوان **شهادة في الإسلام** أو **Témoignages sur l'Islam**.

إن أهمية الدور الذي ظهر من خلال العالم العربي الإسلامي ليس فقط دورا تاريخيا ولكنه دور مميز يعتمد على التخطيط الواعي والدراسة العلمية التي تستند إلى حضارة عريقة تتسم بالواقعية والاستمرارية على مدى العصور. فحضارة الشرق تغطي جميع الاحتياجات المادية والمعنوية لأنها تهتم بصفة خاصة بالإنسان وإنسانيته كما قال مارسيل بوازار Marcel Boisard في كتابه إنسانية الإسلام أو L'Humanisme de l'Islam. فإنها تريد العدالة المطلقة والموازنة بين المجتمع والفرد من تواضع وعدل وحقوق وإنكار للذات. وقد اتضح أن الفنون والآداب التي أشادت بها أوروبا على أنها انبعثت من إيطاليا، وأن نهضتها الحقيقية جاءت من هذا البلد الأوروبي اعتبارا من القرن السادس عشر كان مصدرها –في حقيقة الأمر– هو الشرق وجذورها تمتد إلى بلاد الأندلس الإسلامية منذ القرن الثالث عشر ويوضح الكاتب الإسباني ميجيل بلاسيوس Miguel Palacios في كتاب بعنوان **La Escatologia Musulmana En La Divina Comédia** وهي دراسة إسلامية عن البعث واليوم الآخر.

إن الكوميديا الإلهية La Divina Comédia للكاتب الشهير دانت Dante والتي كانت بمثابة القاعدة الأساسية التي اعتمدت عليها معظم تراكيب ومفاهيم الآداب والفنون في أوروبا ما هي إلا اقتباس صريح من رحلة الإسراء والمعراج المباركة التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم وهي من المعجزات التي أشار الله سبحانه وتعالى إليها في القرآن الكريم. بينما كانت الفترة ما بين القرن السابع والقرن الثالث عشر بالنسبة للشرق هي فترة تألق وازدهار في الفنون والآداب كما هو معروف لدى المفكرين الغربيين أمثال: روجي جارودي Roger Garaudy ، موريس بوكاي

Maurice Bucaille، جوستاف لو بون Gustave Le Bon، هنري كوربان Henri Corbin، وغيرهم فقد كان الغرب على عكس ذلك تماما يمر بفترة من الظلام الحالك مستبعدة كل العلوم وما يتضمنه من تقدم. إن الظروف التي أحاطت بأوروبا ونفرتها من الدين لا تخفى على أحد، وفي القرن الثامن عشر جعلت هذا النفور يتغلغل في الفكر الأوروبي كله ويشمل جميع ميادينه (العلوم والسياسة والاجتماع والاقتصاد والفنون والآداب). وظل الشرود عن الدين وعن الله ومعاندة كل ما يأتي من عند الله سبحانه وتعالى تاركا بصماته على معظم هذا الفكر الغربي الذي أراد التحرر والانطلاق في آفاق عصر التنوير بعيدا عن قيود الكنيسة.

وجدير بالذكر أن الفكر والثقافة والآداب والعلوم وغير ذلك نقل من الشرق إلى الغرب: أي من بلاد الأندلس التي لقبت من قبل الغربيين "بالجنة الأدبية الثقافية" و"بالقلعة الاقتصادية المتألقة" وعلى رأسها مدينة قرطبة التي انبعثت منها العلوم الحديثة والنهضة الحقيقية لأوروبا وذلك على أيدي علماء أجلاء أمثال: ابن سينا Avicenne، ابن رشد Averroès، ابن ماجة Avempace الذين أصبحت أسماؤهم معروفة في فرنسا.

انتقل كل هذا إلى أوروبا على أيدي أوروبيين جاءوا إلى قرطبة وتعلموا على أيدي هؤلاء العرب وارتشفوا من جامعاتهم ثم نقلوا كل هذا إلى أوروبا. ومن بين هؤلاء العلماء الأوروبيين نذكر روجي باكون Roger Bacon، ألفريد لي جران Alfred le Grand، جاليليو Galilée، ليوناردو دافنشي Léonard de Vinci وغيرهم.

أردت فقط قبل أن أدخل في موضوع تأثير الأدب الفرنسي في الأدب العربي أن أنوه عن التأثير المتبادل والحوار المتصل بين الشرق والغرب: "وتلك الأيام نداولها بين الناس"، كما قال الحق سبحانه وتعالى.

أما في العصر الحديث، فقد أثر الأدب الفرنسي في الأدب العربي تأثيرا بالغا وملموسا وذلك اعتبارا من وصول الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨، والتي جاءت ومعها العلماء أمثال شامبوليون، الذي اكتشف الكتابة الهيروغليفية وفك رموزها، وهنا تعرف العالم بأثره على الكنوز الكامنة على جدران المعابد والمسجلة على أوراق البردي وطرح الأسرار الهائلة فرفع الستار عن قيمة وثراء العلوم لدى هؤلاء المصريين القدماء. وقد تلا حملة نابليون بونابرت الفرنسية التي لم تمكث بمصر

سوى ثلاث سنوات عصر أطلق عليه عصر النهضة الحقيقية لمصر ألا وهو عصر محمد علي ومن هنا بدأت البعثات العلمية إلى البلاد الأوروبية.

وقد تولى محمد علي الحكم في مصر في ١٣ مايو ١٨٠٥، وفي عام ١٨٠٩ بدأت البعثات إلى كل من إيطاليا وفرنسا والدول الأوروبية في ظل حكمه هو ومن تلاه من أسرته. ومن عام ١٨٢٦ إلى ١٨٤٧ توالت عشر بعثات على مدى الأعوام التالية ١٨٢٦، ١٨٢٨، ١٨٢٩، ١٨٣٣، ١٨٤٤، ١٨٤٧، ومن بين هؤلاء المبعوثين تتلألأ أسماء رفاعة الطهطاوي، محمد عبده، علي مبارك، جمال الدين الأفغاني، محمد المويلحي وغيرهم من رواد الأدب في مصر، وحتى عام ١٨٨٢ ظلت فرنسا حاضرة قبل أي بلد أوروبي آخر.

وعلى مدى القرن التاسع عشر، كانت فرنسا تسبق كل الدول الأوروبية الأخرى في نفوذها الثقافي والأدبي على مصر. كان التأثر واضحا لدى كتابنا العرب الذين سافروا إلى فرنسا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، فقد كان هناك تاريخ للأدب الفرنسي منذ القرن السادس عشر الذي تميز في فرنسا بالأدب الإنساني والذي اختص به أهم كاتبين هما: مونتاني Montaigne الذي ألف كتابه الشهير المقالات Les Essais ورابليه Rabelais الذي كتب مغامرات بانتاجريل وجارجنتيا Les aventures de Pantagruel et de Gargantua وكان هدفهما هو إدخال السعادة على النفوس وهو هدف إنساني بحت.

وفي القرن السابع عشر، كانت المدرسة الكلاسيكية في فرنسا في عصر الملك لويس الرابع عشر والذي لُقِّبَ بالملك الشمس Le Roi Soleil وكان قصر فرساي هو ملتقى الأدباء أمثال كورنيي Corneille، راسين Racine، موليير Molière من كُتَّاب المسرح ومن الشعراء المرموقين لافونتين La Fontaine وغيره.

ثم يأتي القرن الثامن عشر والذي أُطلق عليه في فرنسا عصر التنوير Le Siècle des Lumières، لأن كل كُتـــَّابه كانوا يتجهون إلى نشر العلوم الفلسفية والتاريخية والسياسية أمثال روسو Rousseau، فولتير Voltaire، ديدرو Diderot، مونتيسكيو Montesquieu .

أما القرن التاسع عشر في فرنسا فهو الذي ظهرت فيه المدارس الأدبية الخمس الشهيرة وهي:

- الرومانسية Le Romantisme: ومن ممثليها شاتوبريان Chateaubriand، لامارتين Lamartine، جيرار دو نرفال Gérard de Nerval.
- الواقعية Le Réalisme: ومن ممثليها بالزاك Balzac، موباسان Maupassant.
- الطبيعية Le Naturalisme: ومن ممثليها فلوبير Flaubert.
- البرناس Le Parnasse: ومن ممثليها تيوفيل جوتييه Théophile Gautier.
- الرمزية Le Symbolisme: ومن ممثليها شارل بودلير Charles Baudelaire

وفي القرن العشرين كان في فرنسا نوع من التيارات أو الاتجاهات الأدبية مثل:

- الوجودية L'Existentialisme ومن معتنقيها جان بول سارتر Jean Paul Sartre، سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir.
- السريالية Le Surréalisme: أندريه بروتون André Breton.
- اللامعقول L'Absurde: ألبـــير كامي .Albert Camus

ومن الإيجابيات في الفكر الأوروبي أن الأدباء والمفكرين الذين تعلموا اللغة الفرنسية وضعوا أيديهم على ثروة أدبية وفكرية بالغة الأهمية عندما تعرفوا على فرنسا، والتي كانت جديدة بالنسبة إليهم وكان فيها أشياء تستحق الاطلاع عليها والاستفادة منها. كما حدث انبهار ضخم عند هؤلاء الأدباء والمفكرين العرب بالفكر الأوروبي والثقافة الأوروبية، فقد كان لهذا الفكر مزايا إيجابية منها على سبيل المثال:

١- التعرف المنهج العلمي في البحث
٢- الصبر والجلد على البحث
٣- عبقرية التنظيم
٤- استخدام التجربة أساسا للبحث

وهو الأمر الذي أدى إلى تقدم كبير في جميع الميادين وخاصة في الفنون والآداب وأصبحت أسماء الأدباء والشعراء الفرنسيين أمثال أناتول فرانس Anatole France، فيكتور هوجو Victor Hugo، أندريه جيد André Gide وغيرهم من المدرسة الفرنسية هي البديل عن امرؤ القيس وعلقمة والمتنبي والبحتري. وكان في مصر مدرستان ثقافيتان متميزتان: المدرسة الإنجليزية

وعلى رأسها عبد الرحمن شكري وتلميذه المازني، والعقاد، والمدرسة الفرنسية وعلى رأسها طه حسين، هذا فيما بعد عام ١٨٨٢.

ومن بين الكتاب العرب الذين تأثروا بالفكر الفرنسي على مبارك وهو أيضا من المبعوثين إلى فرنسا، فقد قام بإنشاء المكتبة الخديوية والتي أطلق عليها اسم دار الكتب وكان هدفه أن تصبح مثل دار الكتب الفرنسية La Bibliothèque Nationale في باريس.

وكان كتابه **علم الدين** دليلا لتأثره بالثقافة الفرنسية واستخدم فيه على مبارك الهيكل الخارجي لفن المقامة في محاولة تعليمية لنقل الغرب الجديد وتصوير حياة الغربيين وعاداتهم تصويرا مباشرا من خلال رحلات شيخ أزهري هو علم الدين وابنه برهان وسائح إنجليزي رَغِب في تعلم اللغة العربية.

وفي كتابه **علم الدين** نادى علي مبارك باستخدام الحلم والإقناع والهدوء في التعليم بدلا من القسوة والهجوم والعنف والتي يمكن عن طريقها الوصول إلى التربية المثالية المنشودة (نشر في الإسكندرية عام ١٨٨٢). ويأتي دور الترجمة التي قامت بدور مهم وفعال في نقل الثقافة الفرنسية إلى مصر وتم إنشاء أول مدرسة لترجمة اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية في ٢٨ ربيع أول ١٢٥١ هـ في بداية عام ١٨٣٥. وبدأت بخمسين طالباً تحت إشراف رفاعة الطهطاوي ثم تحولت إلى مدرسة الألسن وأدخلت بعد ذلك اللغة الإنجليزية.

ويعد كتاب **تخليص الإبريز في تلخيص باريز** لرفاعة الطهطاوي نوعًا من قصص الرحلات يسرد فيه المناظر الجغرافية ويصف كلَّ ما رآه من مناظر موضحا انطباعاته وآراءَه عن الحضارة الفرنسية والذي يُعد أحد أنواع السيرة الذاتية، ففي هذا الكتاب نرى أن المتحدث هو الكاتب بنفسه وكان متأثرا بالثقافة الفرنسية وبما تعلمه هو وغيره من المبعوثين المصريين من قِبَل الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر أمثال: بالزاك Balzac، فلوبير Flaubert، موباسان Guy de Maupassant.

أما بالنسبة للرواية، فقد تم تطوير المقامة إلى محاولة لتصوير الأحوال والأخلاق في البيئة والعصر كما جاء في كتاب حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحي. ويعد هذا الكتاب من أهم أعماله التي طرحت اعتبارا من عام ١٨٩٨.

وإذا تحدثنا عن جمال الدين الأفغاني ثم الإمام محمد عبده، فيكون كما قال جلال العشري في كتابه **ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة** عن محمد عبده: هو أفلاطون حياتنا الفكرية الحديثة، فهو تلميذ الأفغاني كما كان أفلاطون تلميذا لسقراط، وكلاهما يتصور بعقله حياة جديدة، ويجعل الوسيلة إلى إقامتها تعليم الناس وتنوير العقول. ويأتي بعد الإمام محمد عبده الأستاذ عباس محمود العقاد ليكون هو أرسطو حياتنا الفكرية المعاصرة، تكملةً للدكتور زكي نجيب محمود، فهو تلميذ محمد عبده كما كان أرسطو تلميذا لأفلاطون، يكرس حياته للقراءة والكتابة ونشر الفكرة الإسلامية على المساحات العريضة من الجمهور العام وإذا كان الداعية جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده هما بمثابة القطب السالب في محاولة وضع الأيديولوجيا الإسلامية، فالذي لا شك فيه أن الأستاذ العقاد كان هو القطب الموجب في مسيرة الأيديولوجية الإسلامية كما جاء في كتاب **ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة** لجلال العشري.

ونلاحظ أن الرواية العربية على الطريقة الغربية أصبحت هي التي تتميز بالحركة التي تبرز نقطة الخلاف لتسيرها في مجراها، ثم تصل إلى ختام طبيعي وهذا النوع من الرواية كان من ضمن أسباب الترجمة والاقتباس للأعمال الفرنسية. مثل أعمال مصطفى لطفي المنفلوطي (١٨٧٦-١٩٢٤) الذي قام بتعريب واقتباس رواية **Paul et Virginie** (Bernardin de Saint Pierre). وكذلك جورج زيدان (١٨٦١-١٩١٤)، وجبران خليل جبران (١٨٨٣ – ١٩١٣).

وقد كتب محمد حسين هيكل روايته الشهيرة **زينب** بعد عودته من بعثته إلى فرنسا، وتفتح هذه الرواية المرحلة الثانية للتطور الروائي في مصر، وهنا يظهر بجلاء تأثره بالأدب الفرنسي وبالأخص بالمدرسة الرومانسية، فيتناول وصف الريف المصري الذي يعرفه ويحبه ولكن باستخدام الأسلوب الرومانسي خاصة عندما يتحدث عن جمال وسكون الطبيعة المحيطة به، وبالتالي يتم نوع من المزج بين البيئة المصرية الأصيلة وبين الطابع الرومانسي. أما شخصياته فهي نفس شخصيات اليوم وغدًا مثلما هو الحال عند الكتاب الرومانسيين الفرنسيين الذين يتخذون قيمة رمزية، فشخصية "زينب" هي شخصية الطبيعة المصرية. ونلاحظ أن شخصية الفلاح هي الشخصية الموروثة من أجداده الفراعنة، وعلى الرغم من حالته المادية البائسة، إلا أن إبراز نفسه وكبريائه يمثل قيمة وعظمة البلد التي ينتمي إليها ألا وهي مصر الخالدة. وهنا يتعانق الزمان والمكان في سيمفونية يسترسل فيها الصيف والشتاء والسعادة والشقاء، وكل هذا من خلال المجتمع الريفي وتقاليده الموروثة، وتعد رواية **زينب** هي أول رواية عربية بمعنى الكلمة.

وقبل أن نتحدث عن السيدات العربيات اللاتي تأثرن بالأدب الفرنسي والثقافة الفرنسية، أود أن ألقي الضوء على ما كانت عليه المرأة العربية في القرن الثالث عشر، فلن يفوتنا ذكر سيدات فضليات مثل السيدة سُكَينة رضي الله عنها وهي من أصل حجازي وكان لها مجلسٌ عظيمٌ بمنـــزلها في القاهرة يحضره العلماء والفقهاء يتدارسون العلم ويتناقشون في أمور الدين والدنيا والعلوم والآداب، جاء هذا المجلس قبل مجالس فرنسا الشهيرة بأربعة قرون والتي عرفت باسم Les Salons أو الصالونات وذلك في القرنين السابع عشر والثامن عشر مثل صالونات مدام دي بومبادور Madame de Pompadour، مدام دي ديفون Madame du Deffand، مدام دي سيفينييه Madame de Sévigné، مدموازيل دي لسبيناس Mademoiselle de Lespinasse.

ووصل عدد السيدات العالمات من العرب في العصر الإسلامي إلى حوالي ٧٠٠ من بينهن السيدة نفيسة التي تتلمذ على يديها الإمام الشافعي الغنيّ عن التعريف، والسيدة فاطمة بنت جوهر التي تتلمذ على يديها الحافظ بن القيِّم وهو من أهم العلماء والمشرِّعين البارزين.

ومن السيدات العربيات اللاتي تأثرن بالأدب والثقافة الفرنسية في العصر الحديث هند نوفل التي أسست جريدة الفتاة عام ١٨٩٨، ومريم مظهر التي أسست جريدة الحسناء عام ١٨٩٦، ولبيبة هاشم التي أسست جريدة فتاة الشرق عام ١٩٠٦، وعائشة التيمورية التي كتبت العديد من الروايات، وروز اليوسف التي أسست مجلة باسمها، وعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، وغيرهن.

ومن الكُتَّاب المحدثين طه حسين الذي ولد عام ١٨٨٩ وتوفي عام ١٩٧٣، وكانت بعثته إلى فرنسا لها الأثر العميق على كتاباته ومؤلفاته الغزيرة، فكان كتابه **الأيام** الذي بدأ في الظهور على حلقات منذ عام ١٩٢٦ ثم تم نشره عام ١٩٢٩، ثم روايته **دعاء الكروان** عام ١٩٣٤، ثم روايته **أديب** عام ١٩٣٥، ثم روايته **شجرة البؤس** عام ١٩٤٤، ثم روايته **المعذبون في الأرض** عام ١٩٤٩، وغيرها. ومعظم هذه المؤلفات يوضح الصراع المستمر للإنسان الضعيف ومحاولة الهروب من الفقر والبؤس والعبودية، وعلى الرغم من فشل بعض أبطال رواياته إلا أن هناك دائما نظرة تفاؤل تحيط المشاعر والأحاسيس التي قد تكون هي التي مر بها الكاتب نفسه في حياته الشخصية. حيث استمد طه حسين أصول منهجه التاريخي في النقد من المدرسة الفرنسية، ومن هنا انطلق طه حسين بمنهجه التاريخي القائم على هذه العناصر الثلاثة: الجنس والبيئة والعصر، فالإنسان بمواهبه ومعنوياته ما هو إلا أثر من آثار البيئة بمعناها الاجتماعي الواسع، أدخل عليها بعض الأصول الفنية التي اتخذها معيارًا للنقد ومحكًا للقيم الأدبية.

ونجد أن توفيق الحكيم الذي ولد عام ١٨٩٨ وتوفي عام ١٩٨٧ كان هو الآخر متأثرًا تأثرًا بالغًا بالأدب الفرنسي وبالحضارة الفرنسية التي عاصرها في سنوات دراساته بفرنسا. ويبدو ذلك في كتاباته مثل رواية **عودة الروح** التي نُشرت عام ١٩٣٣، ورواية **يوميات نائب في الأرياف** في عام ١٩٣٧، و**عصفور من الشرق** عام ١٩٣٧. ويتحدث في هذه الروايات عن المواقف المختلفة التي عاشها في كل من المدينة والقرية والمدن في الشرق وفي الغرب مثل مدينة باريس التي تعلم فيها الكثير.

كذلك نجد محمد تيمور (١٨٩٢-١٩٢١) والذي نشأ في بيئة تجمع بين الفن والثراء الأرستقراطي وجمع بين الثقافة العربية وبين الثقافة الغربية الفرنسية، تأثر في الأولى بوالده أحمد تيمور والذي كان يحضر مجالسه العلماء والأدباء وتأثر في الثانية خلال إقامته بفرنسا لدراسة القانون، حيث لم يكتفِ بالدراسة القانونية وإنما وجه كلَّ اهتمامه بقراءة الأدب الفرنسي ومتابعة التمثيل.

أما محمود تيمور (١٨٩٤ – ١٩٧٣)، فقد بدأ في نشر قصصه منذ عام ١٩١٦ مع أخيه محمد ونرى تأثير المدرسة الفرنسية وخاصة تأثير موباسان في حرصه على اتباع قواعد الفن ونظمه مع مقومات وعناصر بناء القصة القصيرة من حيث منظور وأشخاص تحمل العديد من الطباع وتصل به في النهاية إلى المعنى العام. وكان هو رائد القصة القصيرة في مصر كما كان الكاتب الفرنسي الشهير جي دي موباسان Guy de Maupassant رائد القصة القصيرة في فرنسا.

وكان من أشهر مؤلفاته المجموعة القصصية الشيخ جمعة وقصص أخرى نشرها عام ١٩٢٥ وقد قام بنشر أكثر من عشرين مجموعة قصصية ونحو عشر روايات تأثر معظمها بالمدرسة الواقعية التي انتمى إليها هذا الكاتب الفرنسي Guy de Maupassant وأثر في العديد من الكتاب المصريين أمثال محمود طاهر لاشين وشحاتة عبيد.

ويُعَدُّ محمود تيمور من رواد القصة القصيرة الحديثة في مصر فقد حرص تيمور على دراسة الشخصية وعلى تقديم بيئتها مع سرد تفاصيلها الدقيقة بنفس تأثر الواقعية الغربية وتقديم الواقع الاجتماعي للشخصية في تفاصيله لها حتى يعطي نقلا أمينا وصادقا للواقع المتناول، وهذا ما وجده في الكاتب الفرنسي جي دي موباسان، فقد كان يقوم بدراسة الشخصية ودراسة المثيرات وردود أفعالها بشكل عميق وإحساس بقيمة هذه الدراسة الداخلية للشخصية مثل ما هو الحال في قصة **لي هورلا** أو **Le Horla**، و**الخوف** أو **La Peur**، و**الخان** أو **L'Auberge** وغيرها من القصص القصيرة لموباسان.

ثم نجد يحيى حقي (١٩٠٥ – ١٩٩٢) والذي ولد في القاهرة في ٧ يناير ١٩٠٥ بحي السيدة زينب حيث أصبح إطارا ناجحا لروايته المشهورة **قنديل أم هاشم** التي نشرت عام ١٩٤٣. وكان شاهدا على الثقافة الغربية ومتأثّرا بها تأثّرًا بالغًا ومن أكثر اهتماماته العلاقات بين الشرق والغرب. وقد حصل في عام ١٩٦٨ على جائزة الدولة التقديرية في الأدب، وفي عام ١٩٩٠ على جائزة الملك فيصل للآداب. وكان قد نشأ في وسط مثقف متأثر بالأدب الفرنسي، ومن مؤلفاته الشهيرة إلى جانب قنديل أم هاشم (عام ١٩٤٤)، مجموعة قصصية بعنوان **كن ... كان** (عام ١٩٥٤) **وصح النوم** (عام ١٩٥٥) وغيرها في لغة أدبية مطعمة بالتهكم والنقد اللاذع.

وحول نجيب محفوظ (١٩١١-٢٠٠٦)، والذي حصل على ليسانس الفلسفة عام ١٩٣٤، وكان معجبا بطه حسين ومتأثرا به خاصة بأعماله مثل **الأيام** و**شجرة البؤس**، كما كان يمتد إعجابه إلى توفيق الحكيم. وعن الكُتاب الأجانب، فقد كان متأثرا بتولستوي Tolstoï، ودوستويفسكي Dostoïverski، وتشيكوف Tchekov، وخاصة الكاتب الفرنسي موباسان Maupassant.

وتناول في بادئ حياته الروائية الاتجاه التاريخي متحدثا عن الفراعنة والوطنية المصرية وذلك من عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٤٤ ثم انتقل بعد ذلك إلى مرحلة جديدة في كتاباته اعتبارا من عام ١٩٤٥ وقد تناول الكتابة الوصفية للأحياء الشعبية التي كان يعرفها حق المعرفة. ومن مؤلفاته نجد **القاهرة الجديدة** (عام ١٩٤٥)، و**خان الخليلي** (عام ١٩٤٧)، والثلاثية الشهيرة **بين القصرين** (عام ١٩٥٦) و**قصر الشوق** (١٩٥٧) و**السكرية** (١٩٥٧).

ونذكر أيضا من الكُتـــّاب: يوسف السباعي وإحسان عبد القدوس ويوسف إدريس وأنيس منصور وصنع الله إبراهيم وجمال الغيطاني وعلاء الأسواني صاحب رواية **عمارة يعقوبيان** وتقاربه مع جورج بيريك George Perec وميشيل بوتور Michel Butor صاحب رواية **La Modification**.

من هنا، ندرك أن ما قام به الأدب الفرنسي أو الأدب في فرنسا منذ القرن السادس عشر وحتى القرن الحالي قد اجتازه الأدب العربي في البلاد العربية في سرعة البرق، فقد حصل الكتاب العرب على أعلى الجوائز العالمية كما هو الحال مع أديبنا الراحل نجيب محفوظ رحمه الله الذي حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨.

إن الأدب العربي قد تأثر بالأدب الفرنسي حقا، ولكن مع احتفاظه في كثير من الأحيان بفكره الأصيل المتمسك بالقيم والمبادئ والأصول الراسخة التي منحها له الإيمان بالله عز وجل، هذا الفكر الذي ينادي بالعلم الغزير والتطور المستمر والحوار مع الآخر "وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا"، وكذلك الاطلاع المستفيض الذي يسطره القلم بكل ما يمتلك من قوة وفكر وتمعن وتدبر.

إن أول كلمة أُنـــزلت في القرآن الكريم على سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم هي كلمة "اقرأ"، ويقول الحق تبارك وتعالى في كتابه الكريم: بسم الله الرحمن الرحيم "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم" صدق الله العظيم.

محمد الكردي:

نشكر الدكتورة نفيسة شاش على هذا التطواف بين الآداب العربية والفرنسية، وأعتقد أنها مرت على كل ذلك مرورا رقيقا رفيقا لا تكاد تغوص في الأعماق ربما لتقدم أكبر كمية ممكنة من المعلومات.

سعد حسن زلط:

متى يُترجم كتاب الدكتورة نفيسة شاش عن الإسلام إلى الفرنسية ليكون شهادةً حديثة للإسلام؟ متى يُترجم كتاب الكاتب الألماني **شهادةٌ للإسلام**، والكاتب الفرنسي مارسيل بوازار **شهادةٌ للإسلام**، وبعض كتابات الكاتب الروسي الشعبي تيودور دويستوفسكي وآخرين من الشعراء الروس، والكاتب العظيم روجي جارودي الفرنسي المسلم، وآخرون منصفون غربيون لدي قائمة بهم تضم أكثر من عشرين كاتبا وكاتبة منصفا للإسلام. وماذا عن مسرحية فولتير التي كانت ضد الإسلام والتي باركها البابا؟ أرجو أن تتفضل الدكتورة نفيسة شاش بتوضيح هذا الأمر لأننا نحب هذا الكاتب في الشرق، ولكنها هذه السقطة التي صاغ فيها مسرحية كاملة ضد الإسلام. كما أرجو أن تلقي الضوء على المسرحية الحديثة **الأمير ميدو** الشهيرة حاليا في دول أوروبا والتي تتناول الإسلام أيضا بالهجوم؟ كما أؤكد ضرورة طباعة مقالات الكُتاب الفرنسيين على مقالات الإمام محمد عبده لأننا نحتاج إليها الآن والتاريخ يدور دورته، وأيضا مقالاتهم ممزوجة بمقالات الدكتور طه حسين.

أرجو توضيح مصطلح يدور حاليا لأنه يتشابه بل يدخل مع العلمانية ومع العولمة وهو الشوفينية والذي ما كان يقصد المعنى باستخدامه الحالي الفيلسوف الفرنسي شوفيني.

نفيسة شاش:

بالنسبة للكتب، أود الإشارة إلى أنني قد ألفت كتابا عن الإسلام يعتبر شبه ترجمة للكتاب العربي، وعنوان الكتاب الفرنسي: **Monotéisme et Islam au cours des siècles** وهو يحتوي على الأسس والأفكار الأساسية التي أود الإشارة إليها في حديثي عن الإسلام، وهو كتاب منشور.

بالنسبة لفولتير، أقول إنني قد اشتركت مؤخرا في مؤتمر في باريس عن صورة الشرق والإسلام عند الشعراء الفرنسيين، وكنت مشاركة في هذا المؤتمر ببحث عن مسألة فولتير ومسرحيته **Mahomet** والتي تشير إلى اسم الرسول عليه الصلاة والسلام والتي ألفها فولتير في بداية حياته إرضاءً للكنيسة وحتى تترك له المجال الواسع بعد ذلك ليكتب ما يشاء، فكان أسهل الطرق لذلك هو الطعن في نبي الإسلام وإهداء ذلك للبابا. وبعد سنوات عديدة، بدأ فولتير يقرأ عن الإسلام وعن سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، بدأ يعرف لهذه الشخصية الجليلة قدرها وأنه قد أخطأ في حقها، فألف كتابه **Traité sur la Tolérance** الذي اعتذر فيه اعتذارا صريحا وبدأ يتحدث عن شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام بكل ما تستحقه من إجلال وتوقير، ووقتها ثارت عليه الكنيسة لكنه كان في أواخر حياته و لم يعد يهمه الأمر، وكان هذا الكتاب من أجمل ما كتب فولتير في حياته.

محمد الكردي:

أود أيضا أن أشير إلى لفظة "الشوفينية" وهي كلمة فرنسية الأصل تعني التعصب القومي أو التعصب الوطني، وبعض كُتاب اليمين المتطرف ينعتون بهذه الصفة، لأنَّ فكرة القومية في أوروبا فكرة سيئة السمعة لأنها مرتبطة بالتسلط وحب السيطرة على الآخرين عكس القومية العربية والتي كانت قومية مضطهدة. وفي وقت من الأوقات كان الرئيس عبد الناصر يُتهم بأنه نازي لأنه ينادي بالقومية العربية.

وبالنسبة لفولتير، يوجد كاتب تركي اسمه "جافاد" ألف كتابا قيما عنوانه "فولتير والإسلام"، وأوضح فيه أن فكر فولتير كان متغيرًا لأنه كان يكتب متأثرا بما يدور حوله من الدراسات التاريخية والفلسفية التي كانت تتم في عصره عن الإسلام، وكان الرهبان يكتبون عن الإسلام بغرض التشهير وهم مثقلون بتاريخ طويل من العداوات والحروب بين المسلمين والأوروبيين.

أحمد فهمي (باحث في مجال الدراسات الاجتماعية):

يوجد ثلاثة مفكرين فرنسيين مهمين كنت أتوقع أن أسمع عنهم من الدكتورة نفيسة شاش: الأول جاك بيرك وله دور كبير في العلاقات بين الثقافة الفرنسية والثقافة الإسلامية وهو متخصص في

الدراسات الاجتماعية والدراسات القرآنية، وأنفق نحو عشرين عاما من عمره في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية بشكل جيد. وكان لطه حسين دور كبير في الثقافة المصرية والعربية، وقد تأثر تأثرا كبيرا بالفكر الفرنسي والثقافة الفرنسية، وكلنا نعرف مشكلة كتابه عن "الشعر الجاهلي" وقد تأثر في منهجية هذا الكتاب بمنهجية ديكارت، ومن هنا كنت أحب أن تتحدث الدكتورة نفيسة شاش عن ديكارت باعتبار أن طه حسين أحد كبار المفكرين العرب كانت المشكلة الكبرى التي واجهته نتيجة اختياره لمنهج الشك الديكارتي في كتابه. أما المفكر الفرنسي الثالث المهم فهو مكسيم رودنسون وكتابه الشهير الذي أثار ضجة كبيرة عند تدريسه في الجامعة الأمريكية منذ سنوات.

نفيسة شاش:

أولا حول جاك بيرك، أود أن أشير إلى أنه من الكُتاب العظماء الذي له إسهامات كبيرة في مجال الدراسات الإسلامية ومكانته معروفة في فرنسا، وفي يوم ٢٥ يناير تنعقد لجنة لمناقشة رسالة دكتوراه أقوم بالإشراف عليها تدور حول مقارنة بين ترجمة جاك بيرك وترجمات أخرى، وهي دراسة بها اعتماد على الناحية اللغوية والتوضيحية. لكن في الحقيقة، هناك الكثيرون الذين لم أذكرهم لكثرة الأسماء وضيق الوقت، وكان هدفي هو إعطاء فكرة مبسطة.

أما بالنسبة لديكارت وتأثيره في طه حسين، أقول إن ديكارت تقوم طريقة تفكيره الديكارتية الشهيرة على التنسيق والتوضيح، لكن ديكارت نفسه كان متأثرا بالشيخ أبو حامد الغزالي وأخذ عنه منهجه، وكما يقول الذكر الحكيم "وتلك الأيام نداولها بين الناس"، فالمسألة عبارة عن حوار مستمر وتبادل مستمر.

وبالنسبة لمكسيم رودنسون، فهو من المستشرقين الذين لهم وزنهم، وفي قسم اللغة الفرنسية وآدابها قدمت الزميلة العزيزة الأستاذة الدكتورة رشيدة الديواني رسالتها لنيل درجة الدكتوراه عنه، وفي الحقيقة لديه بالفعل الكثير من الأقوال التي أثارت ضجة في كثير من الأحيان، لكن في النهاية فمثله مثل كل المستشرقين، كل منهم له نواحٍ إيجابية وأخرى سلبية. وفي سياق ذكر المستشرقين، أود الحديث عن سيجريد هونكة المستشرقة الألمانية التي ألفت كتابًا بعنوان **شمس الله تسطع على الغرب**، وهو كتاب من أروع ما قرأت، وقد تحدثت فيه بكل الإيجابية والتوضيح والأسانيد عن الإسلام والمسلمين، وهو من أشهر الكتب التي تناولت الإسلام وتمت ترجمته لعدة لغات.

هدية السعيد (مدير مركز البحوث الزراعية):

أنا بعيدة عن التخصص الذي تم طرحه في المحاضرة، إلا أنني أتساءل عن سر اهتمام الأدباء الفرنسيين على وجه التحديد بالثقافة العربية والإسلامية دون جميع الأدباء الغربيين، هل يعود ذلك إلى الحملة الفرنسية التي جاءت كما يقول البعض لتغطية النواحي العلمية والثقافية؟

نفيسة شاش:

في القرن التاسع عشر بعد مجيء حملة نابليون بونابرت إلى مصر، حدث الاتصال بين مصر وفرنسا، وقد ساهم ذلك في بداية الصحافة، فظهرت أول جريدة وهي Le Courrier Egyptien أيام الحملة الفرنسية، وبعد ثلاث سنوات رحلت الحملة الفرنسية، ثم تولى محمد علي الحكم عام ١٨٠٥ وبدأ في إرسال البعثات العلمية لأنه كان يهدف إلى تحويل مصر إلى دولة متقدمة بعد أن مرت بفترة من الظلام، ومن أشهر ما قدمت الحملة الفرنسية كتاب **وصف مصر** وهو كتاب ضخم ومهم جدًّا وكان يحوي وصفا لكل ما كان يدور في مصر في فترة الحملة الفرنسية، وقد لفت هذا الكتاب نظر الكثيرين من الأدباء والشعراء وجذبهم لزيارة مصر، وقد جاء بالفعل عدد كبير منهم إلى مصر، حتى من لم يأتِ فقد قرأ عن مصر وكتب عنها، ولم يأتِ فيكتور هوجو إلى مصر لكنه ألف كتابه الشهير **الشرقيات** رسم فيه صورا شعرية جميلة عن الأهرام والنيل وغيرها من المعالم التي تأثر بها من مجرد قراءته عنها. أما جيرار دو نرفال فقد سافر إلى مصر وألف كتابه الشهير **رحلة إلى الشرق** والذي تحدث فيه عن كل ما هو موجود في مصر من مختلف المعالم والعادات والتقاليد، حتى إنه تحدث عن الأفراح والموالد والإسكندرية والمحمل وهو الموكب الخاص بكسوة الكعبة الشريفة التي كانت تُصنَّع في مصر، حتى إن هناك الكثير من الكلمات التي دخلت إلى اللغة الفرنسية من اللغة العربية مثل Charabia التي يعود أصلها إلى شرى وباع باللغة العربية وغير ذلك. ومن الكُتاب الذين زاروا الشرق أيضا شاتوبريان الذي زار عدة مناطق وتحدث كثيرا عن لبنان وسوريا وفلسطين وغيرها، والكثير من الكتاب حذوا حذوه متأثرين بكتاب وصف مصر الذي كتبه علماء الحملة الفرنسية والذي ساعد على أن تتجه الأنظار إلى مصر.

محمد الكردي:

يوجد كتاب لروبير سوليه عنوانه العربي **مصر ولع فرنسي**، وذلك لأن الفرنسيين ساهموا في إنشاء وتنفيذ الكثير من المؤسسات المصرية، لقد بنى الفرنسيون الكثير، وذلك على عكس ما كان

يُقال عن عصر الإنجليز الذي دمروا وخربوا، وكانت العلاقة مع الفرنسيين دوما وثيقة وحميمة منذ أيام محمد علي مرورا بعصر الخديوي إسماعيل، و لم تتدهور إلا بعد تأميم قناة السويس.

وأود أن أشير إلى قضية طه حسين وقضية الشك، في الواقع هذه فذلكة أو حركة من طه حسين حين قال إنه يستند إلى منهج الشك، لكنه كان يستند إلى آراء موجودة قبل ذلك مثل رأي المستشرق مارجو ليوث ورأي ناقد قديم اسمه عبد السلام الجُمحي، نفس فكرة نقد الشعر للقبائل اليمنية التي لم تحظَ بحظ كبير في الإسلام، وكانت العادة العربية أن يُنحل الشعر للقدماء اعتزازا بالأجداد، ويوجد شعراء منذ القرن الخامس الميلادي مثل امرؤ القيس، ولكن امرؤ القيس يفصله عن الإسلام مسافة تاريخية نحو قرنين. كما اعتمد طه حسين في دراسته على آراء مستشرق إيطالي كان موجودا في الوقت نفسه في الجامعة المصرية اسمه "نالينو" وهو الذي اكتشف لغة حِمْـــيـــَر أي اللغة اليمنية التي عاصرها امرؤ القيس. لقد كان لدى طه حسين مبررات كثيرة لكنها قوبلت باستنكار خصوصا نواحي الشك التي جعلته يشكك في المصادر الدينية وأكد ضرورة البحث عن وثائق تاريخية موثقة. وقد نُشر كتابه **عن الشعر الجاهلي** حاليا مع مقدمة وافية للدكتور عبد المنعم تليمة، وملحق به أوراق القضية التي قاومت هذا الكتاب وحيثيات حكم المستشار محمد نور الذي برأ طه حسين.

لقد بدأ طه حسين بالشك وانتهى إلى الإيمان مثل ديكارت، ولكن من يقرأ له كتاب **في الشعر الجاهلي** يندهش حين يقرأ كتاب **على هامش السيرة** الذي يعلن فيه إنه ينقل أخبارًا لا يطمئن إليها! وهناك الكثير مما يقال عن الكُتَّاب في هذه المسألة، فالعقاد مثلا قيل إنه لم يبدأ في كتابة سلسلة العبقريات الشهيرة إلا بعد أن كادت أن تصيبه رصاصة أُطلقت عليه من نافذة مقابلة لمكتبه، وكان ممسكا بالمصحف في يده فاصطدمت الرصاصة بالمصحف واستقرت فيه فاعتبر ذلك إشارة إلهية وشرع في كتابة هذه السلسة الدينية من الكتب. لكن، قبل ذلك كانت له كتابات رهيبة ومعروفة، فقد سبق وسب سعد زغلول كما سب الملك فؤاد وتسبب ذلك في دخوله السجن حيث ألف كتابا داخله، أي أن هذه قضايا متشابكة وتحتاج إلى تمحيص وتفنيد للحقائق.

متحدث لم يذكر اسمه:

وإذا كنا نحن قد تأثـــَّرنا بالفرنسيين إلى هذا الحدِّ، ألم يتأثـــَّروا هم بنا في العادات والتقاليد وغيرها؟ وماذا عن تأثير الحضارة العربية والإسلامية قبل ذلك في بلاد الأندلس؟

نفيسة شاش:

لهذا السؤال كانت المقدمة التاريخية لكلمتي الطويلة إلى حدٍّ ما، لقد كانت بلاد الأندلس هي المنارة العظيمة الموجودة التي أرسلت نورها لأوروبا بالكامل، وقد ذكرت الكلمات التي قالها المستشرقون أنفسهم عن فضل بلاد الأندلس التي جاءت منها المصادر الأساسية وخاصة قرطبة، وأن العلوم كان أساسها من العلماء العرب ابن رشد وابن سينا وغيرهما، وقد بينت المستشرقة الألمانية سيجريد هونكة في كتابها القيم **شمس الله تسطع على الغرب** أن الطب مثلا تأسس حقيقة على يد العرب والمسلمين، لقد كانت هناك عملية مد وجزر، فقد وضع المصريون القدماء الأسس الأولى للطب وذكروا الأهمية الصحية والغذائية لعدد من أنواع الطعام منها تأكيدهم أهمية قشر القمح لصحة الإنسان والذي يُستخدم حتى الآن في الميكروبيـــوتيك، حيث هناك رفض للدقيق الأبيض الحديث الخطر على الصحة، كذلك الثوم والبصل اللذان كان يقدسهما قدماء المصريين من فرط أهميتهما للصحة ودورهما في الشفاء من بعض الأمراض. ومن المصريين القدماء تعلم اليونانيون الكثير من فنون الطب وأضافوا إليها، حتى جاء العرب الذي نمقوا هذه المعارف وهذبوها وقدموها بالطريقة العلمية السليمة، ثم تم نشر ذلك كله في أوروبا فيما بعد. لقد أعطينا الكثير والكثير ونحن الآن نأخذ فقط، ونتمنى أن يساعدنا الله لكي نعطي مرةً أخرى.

محمود بكري:

أعتقد أنه كان لترجمة ألف ليلة وليلة تأثير كبير جدًّا ليس فقط في فرنسا ولكن في كل أوروبا الغربية. لكن عندي تحفظ على التأثير الفرنسي في القرن العشرين، مثلا لقد أثرت رواية غادة الكاميليا بشدة على الأوساط الثقافية المصرية، حتى إنها أُخذت عدة مرات لصياغتها كأفلام وكانت الأفلام نسخة كربونية من الرواية، وكانت هناك قصص بحذافيرها تنقل إلى اللغة العربية، وكان التأثير العربي قويا في فرنسا، إن كلمة malade الفرنسية أساسها كلمة مريض بالعربية، كما يستخدم الفرنسيون حتى الآن مصطلح toubib في الإشارة إلى الطبيب في تخصصات معينة، كما يقول بعض الفرنسيين الآن Il fait le salamalek في إشارة إلى شخص يأخذ ما يريد ثم يرحل.

نفيسة شاش:

يبين هذا كله أن الارتباط وثيق، وكانت فرنسا طوال عمرها جزء منا، على الرغم من أن احتلالها لمصر لم يدم سوى ثلاث سنوات، وحاول نابليون بونابرت نفسه التقرب إلى المصريين حتى أنه أعلن في وقت من الأوقات أنه سوف يشهر إسلامه، لكن الناحية الثقافية الفرنسية هي التي كانت تسيطر على الجو العام في مصر وكانت الصالونات في الطبقة الأرستقراطية متأثرة تأثرا كبيرا بالثقافة

الفرنسية، وكل هذا من الانبهار الذي حدث بعد عودة العلماء المصريين المبعوثين إلى فرنسا مما رأوه من تقدم وازدهار حتى أن معظمهم كان يهدف إلى نقل ما رآه في فرنسا حرفيـــا ومن هنا ظهر التعريب حتى للآداب الفرنسية، وكان بعض هؤلاء الكُتَّاب يحرفون الأدب الفرنسي أو يقومون بإحداث عملية دمج بينه وبين الأدب العربي مثلما حدث مع رواية زينب لمحمد حسين هيكل الذي تأثر بالثقافة الفرنسية وأحس بها وظهر ذلك في إبداعه الأدبي، وكذلك محمود تيمور الذي تأثر بموباسان كما ذكرت، وكان موباسان من أهم الكُتَّاب الذين كانوا يتحدثون عمَّا يجول في النفس البشرية، عن كل ما يدور في داخل الإنسان من أحاسيس حزن أو فرح أو خوف أو ألم أو قلق، كلها مشاعر اهتم بها، وكل هذه المشاعر نقلها أيضا محمود تيمور في كتبه، وكان أحيانا يقوم بتعريبها بمعنى إدخال ما يخص مجتمعاتنا العربية في النص، وكل هذا يدل على أنه يوجد ارتباط وتلاقٍ، إن الإحساس واحد لكن البيئة مختلفة والمكان يختلف، مما يؤدي إلى أن يحدث دمج بين المشاعر وبين الجو العام المحيط بها.

متحدث لم يذكر اسمه:

نريد أن نعرف ماذا كان دور جماعة السان سيمونيين أو Les Saint Simoniens على الأدب العربي؟

محمد الكردي:

كان لجماعة السان سيمونيين دور في كثير من المشروعات، لكن لم يصادفهم الحظ لأن محاربة الإنجليز لهم قضت عليهم، وقد كانوا هم أول من اقترح حفر قناة السويس، ولكن من استطاع أن ينفذ هذه الفكرة هو ديليسبس الذي تمكن من ذلك بسبب صداقته مع سعيد باشا. لكن لم يكن لهم تأثير واضح على الحياة الأدبية في مصر، ربما تأثر بهم الاشتراكيون لأنهم كانوا اشتراكيين في فكرهم، لكن التيار الاشتراكي نشأ في مصر ما بين عامي ١٩٢٠ إلى ١٩٢٢، وأول من تحدث عنه كان سلامة موسى الذي كان في رحلة عودة على ظهر سفينة وبين يديه كتاب **رأس المال** فأخذ يقرؤه بنهم ويمزق كل صفحة يقرؤها وعندما وصل إلى مصر كان قد أنهى الكتاب وفي الوقت نفسه تخلص منه تماما.

أما عن مسألة التأثير اللغوي، فأود أن أشير إلى أن التأثير العربي على اللغات الأوروبية القديمة تأثير في العلوم وعلى الألفاظ العلمية مثل الكحول واللوغاريتمات والسكر وغيرها من الألفاظ التي نُقلت كما هي في اللغات الأجنبية، أما التأثير العربي على اللغة الفرنسية في العصر الحالي أو قبل ذلك

بقليل فكان على ألفاظ السباب!! وذلك لأن التأثير اختلف، فهم أصحاب العلوم الآن ونحن أصحاب النقل، وهنا اختلاف علاقات القوى حتى في الناحية العلمية والثقافية.

أحمد فهمي (باحث في مجال الدراسات الاجتماعية):

تعليقا على ما قيل حول السان سيمونيين، إن الحركة السان سيمونية في باريس كان بينها وبين المفكرين المصريين اتصال، أما بالنسبة للدراسات السوسيولوجية في مصر فإن أوجست كونت تلميذ لسان سيمون، وجميع أقسام الاجتماع في مصر بها جزء كبير يعرض أفكارهما. والملاحظة المهمة التي أود طرحها هي أنني ألاحظ في مصر وفي الدول العربية الدفاع المستميت عن الإسلام والاهتمام بالدراسات الغربية عن أهمية الإسلام وكونه دينا عظيما، فهل هذا عدم ثقة في النفس؟ إن الإسلام دين عظيم وكبير لكن المبالغة في الدفاع عنه تجعلنا نتساءل لماذا لا يكرر المسيحيون واليهود ذلك بالنسبة لدياناتهم؟ إن الإسلام دين يفرض وجوده وعدد أتباعه يزداد باستمرار وهو لا يحتاج إلى كل هذا الدفاع، وأتمنى أن ترد الدكتورة نفيسة شاش على هذه الملاحظة.

نفيسة شاش:

إن سياق الحديث هو الذي يفرض ذلك، لكن الإسلام غنيٌّ عن الدفاع عنه، فهو معروف وهو آخر الديانات السماوية والرسول عليه الصلاة والسلام هو آخر الرسل وهذه أمور مفروغ منها، إن مهمتي هي إبراز ما يقوله الآخرون من أهل الغرب عن الإسلام، ما يقولونه هم وليس ما نقوله نحن، وليس هذا بهدف تمجيد الإسلام الذي هو أوضح من الشمس المشرقة.

محمد الكردي:

إن موضوع الديانات يتداخل مع الجانب الشخصي والجانب التراثي، وكان الصراع بين الدين والعلمانية على أشده في القرن الثامن عشر، وبعد انتهائه قامت الثورة الفرنسية ورفضت الدولة الدين كدين للدولة وبدأ عصر العلمانية وانتهى الموضوع. وقد مكثت في فرنسا عشر سنوات، لم أسمع أبدا حوارا يتعرض للدين، أما في مصر فالدين داخل في الحياة اليومية وفي كل صغيرة وكبيرة وهو ما كان يعجب نابليون بونابرت الذي كان يتعجب من هذا التداخل بين الدين والحياة اليومية بهذا الشكل، أن الدين بالنسبة للمصريين ليس طقسا يؤدونه، ولكنه حياة يعيشونها. وقد حصل خوسيه ساراماجو جائزة نوبل عام ١٩٩٨ عن روايته **إنجيل يسوع** وهي رواية تهدم المسيحية، وقبله إرنست رنان عدو الإسلام اللدود والذي يبدأ في بداية كتابه عن المسيح بقوله إنه مسيحي ولكن هذا لا يمنع من أن يقول كذا وكذا ويبدأ في هدم المسيحية، وقد ثارت الكنيسة عليه لكن لم يؤدِ الأمر

لأزمات وانتهى الموضوع بعد فترة. فهم لا يخصون الإسلام بالنقد، ولكن ينتقدون دياناتهم منذ القرن الثامن عشر عبر علوم الفيلولوجيا والتي كانت بدايتها الاهتمام باللغات السامية العبرية والعربية والآرامية لتحقيق النصوص، وكان الدور الأكبر للبروتستانت عندما رفضوا سلطة البابوية مما أثار العديد من القضايا الدينية من جديد مثل النصوص المزيفة والنصوص الصادقة حتى انتهت وتجاوزها المجتمع وأصبحت بالنسبة لهم أمورًا مألوفة. أما نحن فإن الأمر يؤخذ بحساسية شديدة خاصة عندما يأخذ النقد طابع الهجوم، فنحن مكلومون في جميع المجالات ومن هنا يصبح الدين مسألة نعتمد عليها ونقطة استقطاب قوية لأنه الأمل الوحيد المتبقي لنا في حياة كريمة، أو كما يُقال في علم النفس Point de fixation أو نقطة ارتكاز.

نفيسة شاش:

ما أود قوله هو أنه قبل القرن الثامن عشر كانت الكنيسة تمنع منعا باتا أي علم، ومن القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر كان كل من يدرس أو يقرأ أو يذاكر أو عنده كتب كانت الكنيسة تُطلق عليه "مهرطق" وكان يتم إعدامه بالحرق حيا لأنهم كانوا يعتقدون أن العلم ضد الكنيسة وضد الدين. أما في الإسلام، فإن الأمر كان مختلفا تماما، إن أول كلمة نزلت في القرآن الكريم هي كلمة "اقرأ"، وفيها الحث على العلم وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول "اطلبوا العلم ولو في الصين"، إن العلم موجود بغزارة وهو في انتظار من يتعلمه ويكشف عن أسراره، وكان الإسلام دوما مواكبا للعلم، وهذا هو الفرق، في الغرب من يتبنى العلم يترك الدين ومن يتبنى الدين يترك العلم.

آمال الليموني (عضو في جمعية أصدقاء المكتبة وسيدة أعمال):

إن الإسلام يُحارب منذ أيام الرسول عليه الصلاة والسلام وليس في حاجة إلى من ينهض للدفاع عنه، فقد استمر على الرغم من كل شيء وقد قال الله في كتابه العزيز "إنا نحن نـــزلنا الذكر وإنا له لحافظون".

جيهان شفيق (قسم علم النفس – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية):

لا أودُّ أن أضيف إلى ما تطرقت إليه الدكتورة نفيسة شاش عن عمالقة العصر الماضي، وسؤالي هو إلى متى سنظل نفخر ونتحدث عن أمجادنا؟ وما هي الأسباب الحقيقية لتأخرنا حاليا على الرغم من أن أرضنا هي مهد الحضارة؟ هل ترجع الأسباب إلى كوننا نقع الآن تحت سيطرة الغرب؟ أم لأننا اكتفينا بمجدنا، أم ترجع إلى عملية التعليم؟ وهل ترضى الدكتورة نفيسة شاش عن وضع التعليم في الجامعات المصرية؟ ومتى سيتغير الوضع؟

نفيسة شاش:

نحن نشعر ونلمس جميعا كل الظروف التي نمر بها، هناك قصوركبير في جوانب عديدة، لكننا نجاهد ونحاول ونتمنى أن تصل المحاولات إلى إنجاز، ومادمنا نملك الرغبة والإيمان الصادق في أن نصل فسوف نصل بإذن الله، لابد أن نكون متفائلين على أن يقترن تفاؤلنا بالعمل، لابد من الاجتهاد والمثابرة حتى نستطيع الوصول للنهضة، وهناك خطوات جادة اتُخذت للنهوض بالتعليم، وأنا أتحدث هنا تحديدا عن اللغة الفرنسية – ولكل منا مجاله بالطبع – وقد أمضينا العام السابق كله في لقاءات لتطوير اللغة الفرنسية، هناك رؤية إيجابية تبشر بشعاع كبير من النور ولدينا أمل كبير أن تتحقق كل القواعد الراسخة التي جاهدنا لوضعها، هذا هو ما نتعشمه ونتمناه، وإن شاء الله سوف تظهر البوادر خلال عام ٢٠٠٧.

محمد الكردي:

نشكر الدكتورة نفيسة شاش على محاضرتها القيمة وإلى لقاء آخر.